

اسم المادة: الإيمان بالله (أدلة وجود الله)

من سلسلة: العقيدة وتعزيز اليقين

لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: الإيمان بالله (أدلة وجود الله)
من سلسلة: العقيدة وتعزيز اليقين
لفضيلة الشيخ: عبد المنعم مطاوع



الحمد لله –تعالى– الذي شرح صدور أهل الإسلام للهدى، ونكت في قلوب أهل الطغيان فلا تعي الحكمة أبدا، وأشهد أن لا إله إلا الله إلهًا أحدًا، فردًا صمدًا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه وخليله، ما أعظمَه عبدًا وسيدًا وأكرمه أصلًا ومحتِدا، وأبهَرَه صدراً وموردا، وأطهره مضجعاً ومولِدا –صلى الله –تعالى– عليه وعلى آله وصحبه–؛ غيوث الندى وليوث العدا، صلاةً وسلامًا دائمين من اليومِ إلى أن يبعث الناس غدًا. أما بعد؛

فلا يخفى علينا معشر الإخوة والأخوات أن الإيمان بالله –عز وجل– هو أصل الأصول، وهو الطريق الأعظم للوصول إلى الله –سبحانه–، وهو الذي من أجله خلق الله –تعالى– الخلق، قال –سبحانه–: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" الذاريات:٥٦، وبه قامت السماوات والأرض وبه انقسمت الخلائق إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، ومن أجله نُصِبت الموازين ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وهو حق الله –تعالى– على جميع العباد، ومن المعلوم أيضًا أن أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والأخرى هو العلم والإيمان، وهو الذي من أجله أنزل الله –عز وجل– الكتب وأرسل الرسل وأقام الدلائل والبراهين بما لا مزيد عليه، وبالجملة فهو الأساس لكل خير في الدنيا والآخرة، وما سواه تبع له وفرع عليه، قال الله –تعالى–: "أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" التوبة:١٠٩، فمن أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه، وكل ابتلاءات الخلق وجل صراعاتهم تدور حول الإيمان وضده، فالشيطان وجنده ناصبوا العداوة للمؤمنين بسبب إيمانهم، وهؤلاء لا يهدأون ويضعون أوزار حربهم إلا أن يصير المؤمن على ملتهم الكفرية، عياذًا بالله من هذا.

قال الله –تعالى–: "وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً" النساء:٨٩، أي سواءً في الكفر، فبالله عليكم كيف يستوي في عقل عاقل، فضلا عن دين ديّن أن الإيمان والكفر سواء.

قال الله –تعالى–: "أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ" القلم٣٥:٣٦.

وقال سبحانه: "أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ" ص:٢٨.

وكيف يستوي الأحياء والأموات؟ والنور والظلمات، والهداية والضلال، والسعادة والشقاوة، والخير والشر، فبينهما ما بين السماء والأرض وأكثر من ذلك.

قال الله –تعالى–: "أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" الأنعام:١٢٢، وهذا مثل ضربه الله –عز وجل– للكافر الذي كان ميتًا بكفره، خالٍ من معرفة الله وتوحيده، فأحياه الله



بالإيمان، ونور قلبه بالهدى والحكمة والقرآن، وصار له نورٌ ظاهر من جراء وأثر هذا النور الذي امتلأ به قلبه، يظهر على جوارحه، ويُرى على محياه، والكافر الذي لم يهتدِ فهو يتخبط في الظلماء في ظلمات الكفر والجهالة والحيرة والضلال والشقاء.

وها أنتم ترون معاشر الموحدين الناس من حولكم كيف صارت أحوالهم من الشقاء من جراء كفرهم وإلحادهم، وتركهم الإيمان بالله، وكفرهم بالتوحيد والإسلام، فلم تنفعهم هذه الحضارة المادية إلا في أمور دنياهم إن سلمت لهم من الشرور.

وهذا أمر غير منكور أن هؤلاء اكتشفوا أشياء في العلوم المادية لم يُسْبَقوا إليها، ولكنهم مع الأسف الشديد لا يزالون يبتعدون عن الإيمان، ويوغلون في الكفر والإلحاد، ويتمادون في الضلال والعناد للوحي ونور الهداية، بل يريدون فرض ما وصلوا إليه على العباد، وما شأنهم إلا كما قال الله –تعالى–: "يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ" الروم:٧.

وكما قال –سبحانه–: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ" محمد:١٢، ولو لم يكن من خطر الإيمان إلا أن مصير العبد وحظه من السعادة، والفلاح والحياة الطيبة والنجاة في الآخرة والنعيم المقيم، ورضا رب العالمين لكفى به شرفا، ولو لم يكن من شر الكفر إلا الشقاء في الدنيا والحيرة والضنك والتعاسة وسوء السيرة والسريرة، وأن يكون صاحبه أشبه شيء بالأنعام السائبة، ثم إذا هلك ولقي حتفه لقي الهوان والذل والعذاب أبد الأبدين مع غضب رب العالمين –سبحانه–، الذي لا يقوم لغضبه شيء على الكافرين، لكفى بهذه الأمور وغيرها منفرًا للعبد أن يفعل الكفر، أو أن يحب الكافرين أو أن يرضى بأفعالهم.

قال الله –تعالى–: "إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ" طه٧٤:٧٦، تزكى وتطهر، بالتوحيد ونور الوحي.

ورحم الله القائل الذي قال: إذَا الإيمان ضَاعَ فَلاَ أَمَانُ؛ وَلاَ دُنْيَا لِمَنْ لَمْ يُحيِّ دِيْنَا.

والقائل: مساكين والله أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا وما عرفوا أفضل ما فيها، قيل له وما هو؟ قال: معرفة الله والأنس به وعبادته –سبحانه–

ولما كان الأمر بهذا الخطر والجلالة، وكنا معشر المسلمين في مسيس الحاجة إلى تقوية أصول إيماننا، وأن نرتقي من الإيمان المجمل إلى الإيمان المفصل، ومن حال التقليد في العقيدة إلى حال اليقين والإذعان، والتصديق عن حجة وبرهان، لنحيا حياة السالفين الأول الذين أحياهم الله بالإيمان ونور الوحي، ولنسلم من عبادة الأوثان ومن داء الإلحاد والشرك والكفران، ونعبد ربنا ونعرفه كما جاء في محكم القرآن وسنة سيد ولد آدم العدنان –عليه الصلاة والسلام–.

وقد رغب إخواننا في شبكة الطريق إلى الله شكر الله سعيهم وتقبل عملنا وعملهم وجعلنا وإياهم هداةً مهتدين، إلى هذا البرنامج الموسوم ببرنامج حياة التربوي، وفي مرحلته الخامسة والأخيرة أشرف بصحبتكم فيها على مدار حلقات ثمانٍ نتناول فيها أصول الإيمان، أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يوفقنا وإياكم وإياهم إلى ما يحب ويرضى، وأن يجعل عملنا كله خالصا لوجهه الكريم –تبارك وتعالى–.

أما الركن الأول من أركان الإيمان فهو الإيمان بالله –سبحانه وتعالى–، وإذا ذكر الإيمان بالله فهذا يتضمن أربعة أمور لا يصح إيمان العبد بالله إلا أن يؤمن بها جميعًا:

الأمر الأول الإيمان بوجوده –سبحانه وتعالى–، أن ربنا –عز وجل– موجود –عز وجل–، هذا هو الأمر الأول.

والأمر الثاني أن نؤمن بأنه رب، خالق، رازق، مدبر لهذا الكون، خالق، محي، مميت، وهكذا من صفات الربوبية له –عز وجل–.



والأمر الثالث أن نؤمن بأنه إله، ومن صفات الإله ألا يعبد معه آلهة أخرى، أن نفرده –عز وجل– بالوحدانية، ونفرده بالعبادة فلا نعبد إلا الله، وهذا هو التفسير الصحيح لكلمة وشهادة العبد بقوله أشهد أن لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله، ولا نصرف العبادة إلا لله –عز وجل–.

والأمر الرابع أن نؤمن بأن هذا الرب الموجود والإله المعبود له أسماء حسنى وصفات علا، أمرنا أن ندعوه بها –سبحانه وتعالى–.

وسنتحدث بشيء من الإيجاز مع البيان لهذه الأصول الأربعة لكي يصح إيماننا بالله –تبارك وتعالى–.

أما الإيمان بوجود الله –عز وجل– فهو أظهر من أن يُطْلَب عليه دليل، أو يُسعى إليه ببرهان، وكيف يطلب الدليل والبرهان على من هو دليل كل شيء وبرهان كل شيء –سبحانه وتعالى–؟

كما قال القائل: وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل. الشمس طالعة وليس دونها سحاب، وكل الخلق العقلاء يعلمون أننا بالنهار، فإذا جاء قائل وتعنت وتنطع وقال: اثبت لي أننا بالنهار وليس بالليل، قد يعجز الإنسان أن يقيم الحجة والبينات، لأن كل الظواهر والدلائل شاهدة بأننا بالنهار وليس بالليل. هذا هو الأمر الأول؛ فحتى ذات المخلوق نفسه، الإنسان المتكلم اللي بيسأل هذا السؤال الذي يقول اثبت لي أن الله –عز وجل– موجود نقول له: أنت وجودك دليل على أن الله موجود، لأنك من جملة صنعته –سبحانه وتعالى– وقد خلقك ولم تكن من قبل شيئًا مذكورًا.

أما وقد ظهر شذاذ من الناس قديما كالدهريين، الذين حكى الله –عز وجل– قولهم حين قال –سبحانه–: "وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ" الجاثية:٢٤، يعني الزمن هو اللي بيهلكنا ولا يؤمنون بوجود إله ولا برب ولا بعبادة ولا بجنة ولا بنار ولا بالقيامة ولا بغيرها من هذه الأمور، الزمن يعني زي ما بيقولوا إيه؟ أرحام تدفع وأرض تبلع وانتهت المسألة عند هذا الحد.

وحديثًا بقى اللادينيون من غلاة العلمانية والشيوعيين والملاحدة، الذين لا يؤمنون بوجود الإله –سبحانه–، طيب فإذا سئلوا فمن خلق هذا الكون وما فيه؟ تخبطوا في الإجابة، فيذهب بعضهم إلى أن الإنسان هو الذي خلق الإله وليس الإله هو الذي خلق الإنسان، فض الله فاه وما أخزاها وأحمقها من مقولة، يعني قالوا إن عشان الإنسان بيخاف دايما ومحتاج أن هو يحتمي في شيء فاخترع ما يسمى بالإله، كأنه هو الذي خلقه واخترعه –عياذًا بالله من هذا–. نقول لهم يا جماعة قولوا كلاما معقولا، من خلق هذا الخلق علويه وسفليه، وسمائه وأرضه، إنسه وجنه، بحاره وصحاريه، شمسه وقمره، أفلاكه وكواكبه، أجيبونا يا خلق الله.

منهم من يقول إن الطبيعة القوية هي التي خلقت هذا الخلق، الطبيعة القوية فضلت تنتخب الخلق جيل من بعد جيل حتى وصلت إلى أرقى ما وصلت إليه ثم كفَّت الطبيعة عن التحديث والتطوير، وهذا جهل مغرق –عياذًا بالله– وهذه نظرية فاجرة ملحدة، كما قيل: أبوها الكفر وأمها القذارة، وقد اخترعها هذا الرجل المجرم المنسوبة إليه هذه النظرية، نظرية النشوء والارتقاء؛ داروين، وأصوله يهودية وهو ملحد لا يؤمن أصلا بوجود رب ولا إله، وقد راجت هذه النظرية بل كانت تدرس في ديار المسلمين حينًا من الدهر حتى قام لها أناس من المسلمين ومن غير المسلمين وهتكوا سترها وبينوا ضلالها، وأنه لا يصح في عالم العقلاء أن يتبنى أحد هذه النظر، ولكن للأسف فئام من الناس اعتنقوا هذا الأمر وتصوروه صحيحًا.

طب لما واحد يموت بقى من الجماعة بتوع الطبيعة دي نقول له إيه؟ للطبيعة ما أعطت ولها ما أخذت ولا رحم الله ميتك لأنه لا يؤمن بالقيامة؟ ماذا نقول حينما نعزي واحد بيعتقد هذه النظرية الملحدة –عياذًا بالله من هذا–.

وكذلك أيضًا منهم من يقول بأن هذا الكون خلق لقانون المصادفة، والمصادفة دي ليست قانونًا إنما هو تقدير من المولى –سبحانه وتعالى–.

فكل هذه النظريات لا تصح أبدًا، ويبقى أهلها حيارى كما قال عنهم القائل: جئت لا أدري من أين ولكني أتيت، ولقد أبصرت قدماي طريقا فمشيت، وسأبقى سائرًا، يعني إيه؟ هكذا، هيعرض، فضل يقول لا أدري لا أدري هو لا يدري فعلا، ولعله إن مات على هذا؛ هذا



الشاعر لأنه كان نصراني إيليا أبو ماضي، سيقال له: لا دريت ولا تلوت في قبره حينما لا يجيب من ربك؟ وما دينك؟ وما تقول في الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟

أدلة وجود الله

فلهذه الأمور أصبح العلماء يذكرون الأدلة والبراهين على وجوده –سبحانه وتعالى–، لإبطال هذه الكفريات، وقد ثبت وجوده –جل وعلا– بأدلة الفطرة وأدلة العقل الصحيح وإجماع الأمم إلا الشاذ منهم، ودلالة الحس، وطبعا دلالة الشرع.

فأما الفطرة فقد قال الله –عز وجل– في شأنها: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا" الروم:٣٠، والحنيف هو المقبل على الله المائل عما سواه، ولذلك لما مدح الله الخليل إبراهيم قال عنه بإنه إيه؟ "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" النحل:١٢٠، فهو يلقب بإمام الحنفاء والذي ورث ملتهم من بعده هو نبينا –صلى الله عليه وسلم– قال: "إنَّما بُعِثتُ بالحَنيفيَّةِ –الإيه؟– السَّمْحَةِ"[١]، يقول –سبحانه–: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا" الروم:٣٠، أي خلقهم –عز وجل– مهيئين لقبول الدين من أثر الميثاق الذي أخذه الله –عز وجل– عليهم وهم في عالم الذر، لما خلق الله آدم ومسح بيده الكريمة على ظهره فاستخرج كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا، "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ" الأعراف١٧٢:١٧٣.

وأيضًا في الحديث القدسي الصحيح أن الله –سبحانه وتعالى– قال: "وإِنِّي خَلَقْتُ عِبادِي حُنَفاءَ كُلَّهُمْ، –إني خلقت عبادي حنفاء إيه؟ كلهم– وإنَّهُمْ أتَتْهُمُ الشَّياطِينُ فاجْتالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ، وحَرَّمَتْ عليهم ما أحْلَلْتُ لهمْ"[٢].

وفي الصحيحين أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "ما مِن مَولودٍ إلَّا يُولَدُ على الفِطرةِ"، قيل على الإسلام وقيل على التوحيد وقيل على أصل الخلقة أنه لو لم تُغيَّر هذه الفطرة لما كان إلا مسلمًا إيه؟ موحدًا، أومال الكفرة دول بيطلعوا لنا منين؟ إذا كان ربنا خلقهم في الأصل حنفاء، وهم بيولدوا على هذه الفطرة على الملة الحنفية، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: فأبواه بقى تغيير الفطرة أهي، فأبَواهُ يُهَوِّدانِهِ أوْ يُنَصِّرانِهِ أوْ يُمَجِّسانِهِ، بيخلوه إما يهودي أو نصراني أو مجوسي عابد للنار، ولم يقل –عليه الصلاة والسلام– أو يسلمانه لأنه ما وُلِدَ إلا إيه؟ إلا مسلمًا أو مهيئًا لقبول الإسلام.

فلذلك إن دليل الفطرة ده من أقوى الأدلة راسخ لأن ربنا خلقنا به، ربنا خلقنا به –سبحانه وتعالى–، ولذلك ممكن تجد مثلًا الإنسان لما ييجي يخالف دليل الفطرة ويُذَكَّر به هو لا يحتاج إلى قال الله ولا قال الرسول بعد ذلك، لأنه بينطق هذا الناطق في قلبه، ويفزع، ازاي أنا كنت غافل عن هذا المعنى؟

ألا تذكرون هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره أن شابا أتى النبي –صلى الله عليه وسلم– فجاء فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا، فقام الصحابة ليضربوه، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– مَهْ، أسكتهم وأبعدهم عنه، لأنه أتى أمرًا منكرًا بين يدي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، والصحابة كانت عندهم حمية وغيرة شديدة على الدين، قال له النبي –صلى الله عليه وسلم–: ادنُهْ فما زال يقول له ادنُهْ حتى جلس بين يديه –عليه الصلاة والسلام–، ثم قال له: كيف قلت؟ قلت يا رسول الله ائذن لي في الزنا، والله ما قال له النبي –صلى الله عليه وسلم– إنّ الله حرم الزنا أو أنه من أكبر الكبائر أو إنما جئت بتحريم الزنا أو هذا منافي للإسلام أو عذاب الزناة في الدنيا بالحدود وفي الآخرة

[١] صححه الألباني
[٢] صحيح مسلم



بالعذاب لم يقل له شيئًا من هذا، وإنما ذكره بدليل الإيه؟ الفطرة، فقال له أترضاه لأمك؟ فذهل الشاب وقال: جعلني الله فداك لا أرضاه لأمي، إزاي أمي تبقى زانية؟ فقال: وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم، أترضاه لابنتك؟ أترضاه لزوجتك؟ أترضاه لأختك؟ لعمتك؟ وكل ذلك والشاب يقول لا لا ثم قال: ادعو الله لي يا رسول الله، فوضع النبي يده الشريفة على صدره وقال: اللَّهمَّ اغفِرْ ذنبَه وطهِّرْ قلبَه وحصِّنْ فرجَه، فكان بعد لا يلتفت إلى شيء مما حرم الله –سبحانه–، ده بقى اسمه إيه؟ دليل الفطرة، دليل الفطرة.

هكذا أيضًا ممكن تلاقي ناس شيوعيين ولادينيين وعباد أوثان، وبيعبدوا بوذا وبيعبدوا البقر وبيعبدوا آلهة شتى، وبعدين يركبوا الطيارة ويحصل عطل في الطيارة ويتقال إن الطيارة خلاص دقيقة ولا اتنين هتقع أو هتحترق في الجو، شوفوا بقى الملاحدة دول بيعملوا إيه؟ ما بيقولوش يا إلحاد الحقنا، ويا طبيعة حوشينا، ويا مصادفة احنا كنا مخطئين، ولا اللي بيعبدوا البقر يقول لها تعالي يا أمنا البقرة حوشينا، كل ده بينتهي، لا يقولون إلا الله، لا يدعون إلا الله، ده ناطق الفطرة أهو، ناطق الفطرة.

ولذلك ربنا –سبحانه وتعالى– حكى عنهم هذا، فقال: "هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ –يعملوا إيه بقى عباد الأوثان دول؟– دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم" يونس٢٢:٢٣.

فلذلك بنقول أن دليل الفطرة من أرسخ الأدلة معرفة الله –سبحانه وتعالى– لهذا الميثاق الذي أخذه الله على الخلق، ولأن الله أنزلهم من بطون أمهاتهم مهيئين لقبول هذا الدين ما لم تُغَيَّر وتُغْتَال وتُنتَكس منهم هذه الفطر. شوف ما أنكروا على الرسول –عليه الصلاة والسلام–؛ شوف احنا بنقول إن دليل الفطرة قوي ازاي؟ هم قالوا للرسول –عليه الصلاة والسلام–: "أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ" ص:٥، لأن نشأوا وهرم الكبير على هذا وشب الصغير عليه، وورثوا الدين جيلًا بعد جيل وقد حُرِّف وهم يزعمون أنهم على ملة إبراهيم –عليه السلام–.

أما دلالة العقل الصحيح على وجود الله –سبحانه وتعالى–، فكما يقال هذا من بداهة العقول، يعني لا نحتاج إلى إعمال العقل، ده أمر كان العقول كلها تواطأت عليه، لأنه من بداهة العقل التي تقتضي أنه يستحيل أن يُوجِد الشيء نفسه، عمرك شوفت كوب مثل هذا صنع نفسه بنفسه؟ يقول لك العقلاء كلهم متفقين، لا، أمال إيه؟ لابد أن يكون له إيه؟ صانع صنعه.

وكذلك أيضًا يعني كما يستحيل أن يوجد الشيء نفسه، يستحيل أن يوجد شيء بلا مُوجِد، كما يقرر –أي العقل– أن العدم لا يخلق شيئا، أن العدم إيه؟ لا يخلق شيئا، وأن فاقد الشيء لا يعطيه، وهذه الدلالة موجودة في قوله –سبحانه وتعالى– في سورة الطور: "أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ" الطور:٣٥، أي خلقوا من غير رب أم هم الخالقون لأنفسهم فهذا أعجب، فلذلك في حديث جبير بن مطعم –رضي الله تعالى عنه وأرضاه– كان إبان كفره بعد غزوة بدر أُسِرَ له أُسارى في غزوة بدر، فأخذ مالًا من مكة وذهب إلى المدينة عشان يدفع الفداء ويفك أسراه، فوصل المدينة وقدَّر الله –عز وجل– أن يكون النبي –صلى الله عليه وسلم– في صلاة المغرب يصلي بالمسلمين في مسجده النبوي صلاة المغرب، وقرأ النبي –صلى الله عليه وسلم– سورة الطور ووصل إلى قول الله –عز وجل–: "أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ" شوف الراجل المشرك عبد الوثن اللي جاي متغاظ بقى هيدفع فلوس هيدفع فلوس كتيرة مش فلوس قليلة عشان يفدي الأسارى، وعدو، ومع ذلك شعوره شوف بيقول إيه في هذه اللحظة؟ قال: فكاد قلبي لها أن يطير، سبحان الله! لأنه عربي فصيح، الآية اخترقت قلبه ووصلت إلى سويداء القلب، إن لا يمكن أبدًا إن هؤلاء الناس يكونون خلقوا من غير إله خلقهم، رب خلقهم، ولا يمكن أصلًا أن يخلقوا إيه؟ أنفسهم، "أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ" الطور:٣٦، كل السورة تساؤلات في هذا السبيل، فلذلك يقول بعد ذلك: فكان هذا



أول ما وقر الإيمان في قلبي، ده كان أول بصيص نور –سبحان الله– يصل إلى قلبه وبعد ذلك أسلم وحسن إسلامه –رضي الله تعالى عنه وأرضاه–.

وأما إجماع الأمم فيقول المؤرخ الإغريقي الشهير بازماك: "لقد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون ولا سدود ولا قناطر، ولكن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد".

فالناس اللي بتقول إن الإنسان ممكن يستغنى عن الدين هؤلاء واهمون، ضُلَّال، فجار. اللي بيقول إن الدين أفيون الشعوب، أو الدين ده بيُفسِد الناس أو بيقلل حضارتهم أو بيقلل تقدمهم ومدنيتهم، بئست هذه الحضارة الفاجرة الداعرة الكافرة، فإن أهلها حطب جهنم غدًا إن ماتوا على هذا وما تنفعهم هذه الاكتشافات والاختراعات، إنها لا تفيدهم شيئا من عذاب الله ولا تمنع عنهم هذا العذاب.

فهذا الرجل يقرر إن أيوه فيه ناس كانوا متقدمين وكذا لكنهم لم يصلوا إلى إيه؟ إلى هذا الأمر إن لابد كل الناس كانت عندهم معابد يعبدون فيها آلهتهم.

فمع اختلاف الناس؛ عقائد يعني كثيرة ويعبدون آلهة باطلة شتى، لم يدعي واحدًا منهم أنه خلق هذا الكون، وخلق ما فيه من هذا الخلق، وأنه يتحكم في هذا الخلق بالإحياء والإماتة والرزق وتقدير المقادير، لم يدعي أحد هذا، ومن حاول أن يموه ويضحك على نفسه قبل أن يضحك على الناس، يفتضح ويوصف بالبهتان، وما أمر النمروذ منا ببعيد؛ الذي كان طاغية وظن أنه بملكه يدعي الربوبية أو يدعي الألوهية، ولما ناظره إبراهيم –عليه السلام– وقال: "رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ" البقرة:٢٥٨، فجاء برجلٍ قد حكم عليه بالقتل لجريمة ارتكبها أو برجلين يعني، كلاهما حكم عليه بالإعدام، فقال: عفوت عن هذا فكأني أحييته بعد الممات، وهذا أمر بقتله، فقال له أنا أحيت وأميت، طبعا هذا بهتان، لأنه لو كان صادقا لأحيا هذا الذي قتله وضرب عنقه بالسيف وآثاره من مكان، ده بقى صحيح نقول له بقى أنت رب وانت إله، طالما هيعمل كده، المقصود أنه لم يدعي على طول الخليقة وعرضها من قال بأنه خلق الشمس والقمر وخلق هذا الخلق، بل معظم عبّاد الأوثان وكثير من المشركين كانوا يقرون بوجود الله –سبحانه وتعالى–، وكانوا يقرون أيضًا بأن الله خلق الخلق، "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ" الزخرف:٩ –سبحانه وتعالى–.

وأما دلالة الحس فمنها إجابة دعوة الداعين المضطرين حينما يرفعون أكف الضراعة إلى الله –عز وجل–، واحنا ضربنا المثل بغير المسلمين، فما بالك بأولياء الله –سبحانه وتعالى– إذا ضاقت عليهم الأمور فدعوا ربهم –سبحانه وتعالى–.

وكذلك من الأدلة الحسية معجزات الأنبياء:

– قوم صالح ثمود؛ من تعنتهم مع صالح –عليه السلام– طلبوا منه أن يخرج لهم ناقة من هذا الجبل، فدعا صالح ربه فأخرج الله –عز وجل– دابةً؛ ناقة عظيمة كوماء ومعها فصيلها، يعني كمان وراها إيه؟ وراها ابنٌ لها، وكان من أمرهم ما كان، وقال لهم خلاص أنتم طلبتم الآية أهي، وهذا البئر الذي تشربون منه؛ يوم هتشرب الناقة وتعطيكم في هذا اليوم الذي لا تشربون منه لبنًا بدل الماء، وفي اليوم التالي أنتم تشربون وهي لا تَرِدْ تشرب، وبقوا على هذا فترة ثم كان من أمرهم ما كان "فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" الأعراف:٧٧، فأتاهم عذاب الله –سبحانه– فدا دليل حسي.

– انشقاق البحر لموسى –عليه السلام– لما أمره الله أن يضرب بعصاه البحر "فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" الشعراء:٦٣، دليل حسي.

– عصا موسى –عليه السلام– التي كانت تأكل هذه الحيات التي شُبِّهَت للناس من جراء السحرة.



– إنجاء إبراهيم من النار، ألقي في النار وخرج لأمر الله –عز وجل– للنار التي من صفاتها الإحراق، "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ" الأنبياء:٦٩.

– معجزة انشقاق القمر للنبي –صلى الله عليه وسلم– والكفار شافوا القمر بقى نصين؛ نص قبل الجبل ونصف بعد الجبل، وقالوا سحرنا محمد بعد ذلك؛ يعني سحر أعيننا بحيث إن القمر واحد واحنا شايفينه نصفين، حتى قال الله –عز وجل–: "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ" القمر١:٢.

أما دلالة الشرع فهي أظهر من أن يحاط بها، فما من كتاب أنزله الله ولا رسول بعث إلى الخلق إلا ودعاهم إلى توحيد الله –سبحانه وتعالى– والإيمان به، حتى قال بعض العلماء بأن كل آية في القرآن هي شاهدة على توحيد الله –سبحانه وتعالى–، فإنها إما أن تأمر بتوحيد الإله وعبادته، أو تنهى عن ضد التوحيد؛ تنهى عن الشرك والكفر به –سبحانه–، أو تقرر ثواب الموحدين في الدنيا والأخرى، أو تقرر عذاب من لم يوحد –اللي هو المشرك الكافر– عذابه في الدنيا والأخرى، أو أن تقول الأعمال التي تؤدي إلى الإيمان وزيادته أو أن تبين الأعمال التي تؤدي إلى الكفر وتكون من شعبه. يبقى إذاً القرآن كله يدعو إلى الإيمان والتوحيد وإسلام الوجه لله رب العالمين –سبحانه وتعالى–.

ولذلك هناك ارتباط وثيق بين أن العبد يؤمن بوجود الرب –سبحانه وتعالى– وبين إيمانه بربوبيته –عز وجل–.

وكما ذكرنا أن الأمر هذا مركوز في الفِطَر، ودلت عليه العقول الصحيحة، وكذلك أيضًا دلت عليه أدلة الحس وأدلة الفطرة وأدلة الشرع وجاء الرسل ليقرروا هذا الأمر، ولم ينكره إلا شذاذ من الخلق قديمًا ونفرٌ من هؤلاء حديثًا، وإن كانوا كثروا في أيامنا هذه، الأفكار العلمانية والإلحادية بدأت تفشو حتى غزت ديار المسلمين، تفاجأ يقول لك الشاب ألحد، إيه يا جماعة اللي حصل؟ تفاجأ أن هو دخل على بعض المواقع الإلحادية أو حضر ندوة تدعو إلى الإلحاد أو شاهد فيلم يدعو إلى هذا الأمر أو تقرير أو أي شيء أو كلمه أحد هؤلاء الملاحدة فشككه في دينه ولبّس عليه دينه، فلذلك نحن نحتاج أن نحصن أنفسنا بأن نؤمن بالله –عز وجل– بأنه موجود، وأيضا نؤمن بأنه –سبحانه وتعالى– هو الرب الخالق الرازق، وكما ذكرنا بكل الأدلة دي هي أيضًا معنا في أدلة إثبات أن الله –تعالى– رب.

واحنا عارفين أن كلمة الرب عند العرب لها معاني كثيرة منها السيد، ومنها المالك، ومنها الحاكم، ومنها ما تُقْضَى على يديه الأمور، يُقال رب البيت مثلا والرب بمعنى الحاكم والمالك والسيد، ومن معانيها الخالق ومن معانيها الرازق، وهذا أمر لم ينكره كما ذكرنا إلا شذاذ من الناس.

والله –سبحانه وتعالى– دعانا أن نتعرف على ربوبيته –عز وجل– من طريقين عظيمين:

أما الطريق الأول فهو هذا الكون وما فيه، وهذه الأنفس اللي هو نفس ابن آدم كما قال –سبحانه–: "وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" الذاريات:٢١، وأما هذه الأدلة التي في الكون قال الله –سبحانه وتعالى– عنها وعن الأنفس: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" فصلت:٥٣ –سبحانه وتعالى–.

لعل لقاءنا اليوم قد انتهى، مع هذا الطواف السريع، وإن شاء الله –عز وجل– نكتفي بهذا المقدار، وليكن لقاؤنا بمشيئة الله –عز وجل– في درسنا القادم، مع ذكر باقي أقسام الإيمان بالله –عز وجل– وتوحيده –سبحانه–، ألا وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية، نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن ينفعني وإياكم بما ذكرنا، ونسأله –عز وجل– أن يحي قلوبنا بذكره وشكره وحسن عبادته، وألا يتوفنا –سبحانه وتعالى– إلا وهو راضٍ عنا وعلى الإيمان، اللهم آمين.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، وإلى أن نلتقي في لقاءٍ قادم، أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

